ساعة مع الشاعر شفيق معلوف

عرض وتحليل

نسيب الشمالوني

ما أحوج المرء الى ساعة ينزع فيها نفسه من الاعمال ، والى من ينتشله من حمأة تقاتل فيها الجماعات والافراد على الرغيف ، ما أحوجه الى من يقذف حياته دائمة الاحتراب على المطامع ، دائبة السعي الى إملاء المعدة ، أجل ، ما احوجه الى السأم ينبهه الى عمره المهدور ، وحياته المبذولة الضائعة في أتفه غايات الحياة ، لان النظم التي سنها الملأ العامة ، والطرائق التي ابتدعها الافراد والجماعات لذواتهم ، انما هي أصفاد وسلاسل حاطوا نفوسهم بها عن جهل وتكالب فاصبحوا كفريق الرمل في حركته قضاء مرتقب والركود في ذاته موت محتوم

لست اعني الموت الطبيعي الذي هو آخر مرحلة في الشقاء ، انما اعني الموت الادبي وهو جهل سامي الجمال وادراك بدائع الفن في مراحل سعادة الحياة

ما أسعدنا أذن بساعة نقضيها بصحبة شاعر يسمنا همسات الروح الانساني ويرينا صوراً من ملامح الطبيعة ، ويدلنا على ضمائر الجمال ، شاعر ، لا يحقر انتصار القوة المادية على ملايين من المخلوقات تعيش لتأكل وتتناسل . بل يمجد قوته الروحية في أشلائها الدائم بطاقة لها أرواح وأجساد تسمو بالذات الوجود الذي كونه الله لانه خلقهم على صورته ومثاله

ان ساعة نقضيها بصحبة شاعر ، يبدعنا ، قريب من أذهاننا ، نجلنا مثيلين متنبهين ، يقظة ملكة الذوق ، لادراك المعاني السامية في الشعر ، تذوقها وتحللها وننقدها على مهل

تختلف ملكة تذوق الشعر ، في ذاتية القارىء ، عن ملكة التحليل المنطقي ، وان كانتا تساويان — في بعض الاحيان — في ذاتية الناقد ، الذي يجمع في وقت واحد ، بين الاحساس الروحي الذي لا اقيسة له ولا ضوابط وبين الوعي العقلي الذي يحدد الاوزان والضوابط الدقيقة

قدر في الشعراء من يدرك المعاني السامية في شعره كما يدركها القارىء الذواقة والناقد الحصيف انما الشاعر الذي يدرك المعاني التي توحيها اليه تصورات عقله الباطن ، يكون تنبه وعيه ، ضارعاً

للقوة الدافعة به الى السبحات في مجالات الروح واجواء الخيال ، فاذا كان قادراً على استلماح بدائع الاشعاعات المنكسرة على اقدام الجمال ، بارعاً في رسم تلك الصور تصويراً يدنيها من الخيالات التي رسخت او علقت في ذهنه ، مستطيعاً ان يحوطها بإطار جديد من اوزان مستحدثة واوضاع مبتكرة ، انما يكون واحداً من ثلاثة او خمسة شعراء معاصرين يطيب نصف الحياة معهم ويترك النصف الآخر للمرأة وبقية مطالب الجسد . لذلك اجدني حريصاً على انتزاع قارئي من أوصابه ومتاعبه ، كما انتزعت نفسي من مخالب الالم ومطالب الجسد لتفوز معاً بساعة نستمع فيها قصة شاعر

* * *

شفيق معلوف ، شاعر من لبنان ضاقت به بلده زحلة عروس مدن الجبل — ولبنان دائم الضيق بابنائه — فارتحل الى اميركا ليعيش في مجال الصدر الواسع ، وهو ككل أديب لهُ حياتان « الداخلية » التي يحيا بها لذاته ولأدبه ، وحياتهُ « الخارجية » التي يحيا بها مع الناس لغرض مادي محدود لا دخل لأدبه ونفسه به . والأديب الذي تفسره مطالب الرزق الى تنحية حياته الداخلية ، انما هي تضطره الى العيش غريباً مع الناس يمثل ادوار إكتساب رزقه تمثيلاً فاشلاً ، كما تقهره على إخمادها ، فتخبو ، تكمن كتفاعل مع ذاتها فتبعث بين الفينة والفينة بعض شرارات كأنها تتناثر من لحمة تحترق ، او تتفجر كانفجار البركان

لبث لطوف زمناً ينثر شرارات من نفسه المحترقة فيها غير الصبر لمان وحرارة ، ولما أعيت نفسهُ اليئة الخرساء ، وتكاثفت عليها اثقال الصدر الضاق ، استشعر الغربة تكتنفهُ من كل ناحية ، ولمس الوحشة والنفور من اقرب الناس اليه وابعدهم عنهُ ، لما تألبت هذه العوامل وغيرها على نفسه ، انفجرت ، وشظايا انفجارات الشعراء انما هي من دمعة او آهة ، من صرخة او ابتسامة ، من طفولة او تمرد . الاَّ ان هذا الشاعر الذي تألبت عليه الاعمال المادية وكادت تستغرقهُ الارباح وتغرقهُ ، لم ينفجر انفجار البركان بل تفتق ذهنه عن ريادة شيطانية لا تجول في غير ضمير تاجر اميركي مجازف ، ينقب عن معادن الذهب او منابع البترول ! ! ! ولما تمكنت فكرة الريادة في ذهنه ، جمع عدة الشعراء من دموع وآهات وراح يستوحي شيطانه منجماً يستكشفهُ او منبعاً يستنبطهُ او ناحية في مكان مجهول يبيع فيها صرخات او ابتسامات ! ! فهداه الى وادي عبقر ، مباءة الجن ومبعث الخرافات

أليست مباءة الجن كخيال الطور للانبياء او الشعراء ؟ لقد حجَّ الشاعر الى عبقر ، وطوف بكعبته وشاسكه ، ونظم ملحمة سماها « عبقر » والملحمة استخلاص خيال يقظ ، وذهن فطن ونشاط طبع انساني ، من تيارات الخرافات وتوجيه موجاتها صوب طبيعة النفس البشرية لتصطدم بالحقيقة او تدنو منها ، وهي تسير بارع لطيفة الخرافات التي اكتسبت حقيقتها من الافكار التي تخيلتها وصورتها بصور الواقع

لست في حاجة الى الاشارة الصحيحة الى ميول الشاعر معطوف الشخصية وطوارىء عواطفه ، ولا الى الالمام النفسي وتنبه خياله ، ولا الى جمال الفن وأثره الحسي فيه ، ولا الى الروي والقافية وموسيقى الالفاظ وتموجاتها ، ولا الى التدليل على انهُ شاعر له ذوق وخالجة وفهم وتجربة ، وانهُ موفور الحظ من الطبيعة ، بسيط في تعريف نفسه ومزاجه ، يرينا الطبيعة كما يراها ويعيش فيها وكيف تلوح لبيئه وتقع في روعه وتتمثل في خياله ، لا ، لا افعل ذلك بل اتركه لذوق القارىء ، ولكن لما كان الذوق ذوقين كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد ذوقاً شائعاً يتمثل الجمال فتستحسنهُ حين تراهُ معروضاً عليك ، وذوقاً نادراً يبدع الجمال ويضفيه على الاشياء ولا يكون قصاراه ان تتملاه حيث تلقاه او تساق اليه ، ولما كان ذوق هذا الشاعر خلاقاً ينقل اليك إحساسه بالشيء القديم الموجود بين جميع الناس فاذا بك تحسهُ كأنما تحسهُ لاول مرة لما اودع فيه من شعوره وما اضفاه عليه من طرافة ، ولما كان ذوقه مستمداً من جمال الجسم وكانت ميوله ونزاعه اليه بشوق ملح ، ولما كان شعره طيباً لا تكلف فيه ولا صقل ولا مهارة في صنعة التعبير لانهُ يؤثر الطبيعة البسيطة التي يفهمها على كد الصناعة والزخرفة ، لذلك آثرت استصحاب القارىء لنستمع تمة رحلة الشاعر الى عبقر ، لنشاهد ونتابع مراحلها مرحلة فمرحلة

***

صاح هي اليقظة دبَّت على جفني فاستلامت الوسادا
وعلمت بالنور بابيهما حتى استخارت فيها ملجأ

والطوى الليل ، وأطلَّ الضحى يرسل دفقات من نور على جفون الشاعر ، دبَّت اليقظة في نفسه فأهابت به الى ترك الكرى ، وانتهاب اللذات ، والاستهزاء من الدهر الهازىء بنا . فجيبها وقد نفض عن مقلتيه « إغفاءة طارت وحلماً نأى »

ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى

لان الضحى متى صعَّد انعامه على سراجه المشتعل قائما يصعّدها ليطفىء نوره فيغدو حاله في النور والظلمة سواء ، اما الآن وقد استيقظت النفس يقظة العين وقد رأت اشعة الضحى مستلقية على صدور الربى ، بما نقها الزهر وتضمها الغمامة — ليست الغمامة البيضاء التي وعد المسيح رسله ان يعود اليهم عليها — انما هي غمامة بدا من تحتها شيطان الشاعر كأنهُ « تقذفهُ من الثرى ساحر »

في فمه من سقر جذوةٌ منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني أنيابها والمحجرُ الغائر
كأن محجرها كوةٌ يُطل منها الزمن الغابر

يقبل نحو قرينه ، يبدي إطاعته لقضاء اوامره فيسأله « أمن حالق برزت ام من شقوق الثرى »

فقال اني جئت من بقعة خافية تدعونها عبقرا
تسوسُ فيها الجنّ عرافةٌ ترى بزجر الطير ما لا يُرى
ساحرة مطلسم سحرها تطوي به الاجيال والاعصرا

تستطيب نفس الشاعر زيارة عبقر، وتتوق الى رؤية تلك العرافة التي ولاها الشياطين سياستهم وهؤلاء يوحون الى الشعراء آياتهم فيقوم مع قرينه الى « المجهل الوعر »

وانطلق الشيطان في الجوّ بي كأنهُ البرق أو أسرعُ

ثم تهاوى الى موضع تبرقعه الغمام الزرق، تسطع جدران منازله بالانوار، وتتورد في أبراجه الضحيات، هو ذا البلد المرصود وقد

عزّت على الانس فن حولها أبالسُ الابراج تستطلع
جهاتها الاربع مرصودة تحرسها الزعازع الاربع
ما أفلت الانسيّ من زعزع الاّ تلقى صدره زعزع

طوّف الشيطان الشاعرَ بالابراج الضخام البناء فرأى الغاريت تدرج كالنمل، وجيوش أفزام الجن تمطي للزحف أصناف المطيّات من عظايات وديوك، وأقهم وبراميع، مزاريقها نشابات التفنذ وتروسها قحوف السلحفاة! ثم حلق به وحوّم على عبقر

وحطّ بي فيها فألفيتني أمام شطاء طواها الكبرْ
ينبت الدخان من شعرها ويتلظى في مقلتيها الشررْ
كأنما الله لدى بيتها زوّدها بكل ما في سقرْ

« تقف تباناً على وسطها » تحفّ بها طوائف الجن متألبين حول مجامر الشر، فلما رأت الشاعر انتفضت فأجفل الجن وارتضخنّ، دمدمت العرافة شرّمة وقد حالها « ان يقلق الارواح مرأى البشر » فقالت

فبالصوت خلتُ لنا دوى أن أديم الارض تحتي انشمرْ
ويلكَ يا انسان ألق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فغدن بالشيطان
من شركْ

تمضي العرافة القرقارة في التهديد والوعيد، تود لو تطلق على الزائر القادر تباتها، ولكنني

أخشى على الكيان من غدرك
في نابه السمّ كان وصار في صدرك

تتحول الى التقريع والاستهتار

جعلت نفسك أعلى في الارض من ربك

وتمعن في الانهام والتأنيب : والسخرية من الفلاسفة والشعراء

تحكون يا شعراء آلهة في السماء
انتم لهنَّ ندامى فتنشرون السلاما

ملء الثرى والفضاء

فهات حتى نرى مَ خأتَ من هولك
يا ابن السلام اذا ما دسنا على ذيلك

استاء الشاعر من ثرثرة العرافة وتقريعها اياه فقال لشيطانه

شيطانَ شعري قم بنا عن هذه الارض وغيلانها
فان خلف الافق لي موطناً أبناؤه تعنى بضيفانها
للنفس في اوطانها حرمةٌ ضائعة في غير اوطانها

يثور على الشيطان غضب قرينه الشاعر فيمد الى استرضائه ، فيدعوه الى الاصغاء لانشودة الجنية الحزينة وقد رثت قائلها بها وحزنَ بأمرها لانها

مُسَّت بروح ليس من عبقر غادرها غرقى ببحرانها
لم تُجْدِه رقية عرَّافها كلاًّ ولا حكمة كهانها

والجنية هذه تمعن في وثبها كالروعة ، حتى شفافة كبشرتها الشمة ، كأن اضلاعها كوّرت من حلقات النور

إن بسطت ذراعها أحجمت ملتاعة تودُّ إرجاعها
ثم أراها وهي مأخوذة تطوي على ما لا ارى باعها
من عالم الاجساد مبلية بنهمة تود اشباعها
للنشوة في نفسها طاردت في ظلمة الادغال أتباعها
تعانق الارواح حتى اذا خابت مضت تحمل أوجاعها

والجنية الفاتنة تغني للشاعر الاغنية الجان

هل انا الاَّ ذرة من ضياء هل انا الا زفرة الله قد
صعّدها فوق قباب الجلد فلم تزل لاهبة في الفضاء

وتشكو من طالها الذي لا يُشبع نهماً فيها ، وهي كلما تخيلت روحاً استلق على مضجعها فتهم تقرب اليه فمها فلا تذوق ولا تضم الاَّ الدم بعكس العالم الآخر

متى تلظت شهوة في المهج لم تعدم الاجساد إطفاءها

أما « فنحن بنات الظلال » لشاعر « غير خليط من طيوف ضئال كقطيع النيم اذا يمنا

تمانق اضحلال في بعضها » وتمضي المكينة تنشد شعراً لنص الحنجرة في انشاده ، وتتحير الالغام في تصويره ، وتتدفق الحياة من ثرثراته . وتلذع الآلهة بنواظر جمره

من لي بحب ثوره يثلج من شرر عندم في المقل
من لي بثغر لاهب تفرج ثغرته عن شملات القبل
من لي بذي قلب خفوق أجل في صدره ... وإن يكن يختلج
لعاصف الموت اختلاج الشمل

ثم انحنت المكينة على نفسها ، ويئس الأمل في قلبها ، فتهرف كالمحموم تتسأل

ما نفع روح خالد عشت فيه ما زلت لم أحضن ولم احتضن

وتنادي كالبائع السيار في السوق

ياحامل الجسم ألا اعطيه وخذ إذا شئت خلودي ثمن
روحي لا يبلى فمن يرتضيه أحل ما في جسمه من شجن
وشاحيَ الناريُّ من يشتريه فاني أبيعه بالكفن

كفكف الشاعر دمعة غامت على عينيه حزناً على أميرة الجان ، ومضى مع شيطانه فانطلق به الى كهفي رجلي الحكمة شق وسطيح ، ومن اساطير العرب الجاهلين ان سطيحاً كان مخلوقاً حياً بلا عظام ، يدرج كما يدرج الثوب ، وان شقاً كان شطر انسان اي له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وانهما ولد وسطيح في يوم واحد ، وان كلاً منهما كان اشبه بالثاني في الاباء بالنيب ، وان العرب كانوا يعتمدون على هذين المرافين الحكيمين في تفسير احلامهم ، إلا ان الطريق الى الكاهنين وعرة ، مسلكها رهيب ومر ، آهلة بثعلان وجان

بسحنة فاغرة شدقها عن أنيب محددات السنان

ولما انتهيا الى كهفي الكاهنين لقيا الواحد في وسطه « مدية نار تمدها من دخان »

والكاهن الآخر ذو خلقة لم يحبس الخالق فيها أحد
ما الدهر إلا عبث عنده وليست الاحيال إلا بدد

في باب كاهني عبقر وقف الشاعر يستطلع حكمة يعدها للنقد ليرسلها فوق رؤوس الورى

قد اظلم الشاعر والكاهنين ، وقد اظلم الحكمة نفسها اذا عمدت الى تلخيص هذا الموقف الرائع في قصة الرحلة ، فالحوار ، والحكمة ، واستعراض الحياة ، وجس ادواء المجتمع ، والسخرية من الحكام والاحكام ، والضحك المر من حمق الانسان وغبائه ، وابتسامة الهزؤ من عقله وتصرفاته — اقول اذا حاولت ذلك فكأنما أهدم الدعامة القوية في بناء اللحمة الفنية ، وأكون كمن يستشهد على موضوع في كتاب نفيس يكتفي بإبراز دفتيه ، وتقليبه في كفيه ، فالخير إذن كل

الخير في تلاوة اناشيد هذا الموقف برمّتها في الكتاب . عاج الشاعر عن كهف العرافين ومضى به شيطانه الى غابة الحور حيث طين الاعشاش من فتات المسك

والحور في الاعشاش علاّتها عواري الاجسام شُعثَ الشعور

فررنَ إذ رأين الشاعر ورحنَ بعيدة من بعيد، ولكنهنّ اشباح دفن الهوى فصرنَ كالكؤوس وهاجة لاخمر فيها ، إنما الشاعر الفاتح ، عاشق الجمال والحب يقف من جمالهنّ الباهر لا كوقف السكير من زجاجة فارغة ، بل وقفة شاعر فتنهُ الجمال فيتساءل

هل الهود البيضُ الصنها من نُتَف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطها أهيَ من الفجر بقيات نور
أم بقعٌ منذ عاق الهوى تؤجُّ فيها جمرات الثغور

يسأل الشاعر شيطانه أخبار هاتة الجنيات الفاتنات فيجيب بان ذاك الذي كان نصب ميزانهُ للعدل كان قد ألقى بنات الهوى الى النار ، فثرنَ على الابالسة ، أغرى هؤلاء بهنّ شياطينهم فأغوينَ الشياطين ، تكسّر الابالسة لهنّ فرحنَ

يلقينَ في الجمر وبيضهُ غبًّا ويرشقنَ الشياطينا

ضجّ سكان جهنم فجؤوا باب الله يشكون له فتنة بنات الهوى فكان حكمهُ ، ان

زجّ بهنّ الله في عبقر يلو بهنّ العبقريّنا

اجتذب بنات الهوى الشاعرَ العبقري اليهنّ ، ورحنَ يبثثنهُ شكاياتهنّ فقلنَ انهنّ فراشات الصباح متى استفاق الصبح ومدّ لنا كأسهُ ، تتعلى اليه متون الرياح ، علأ منهُ كؤوسنا ، نرش بها الازهار العطاش ، ونرانا من الضحى الى الاصيل فوج بالخضرة في الاودية نستقي على صدور الزهر ، بين الشمس تشرق من هودجها علينا نرى اجنحتنا منشورة للهواء ونحن في حضن الزهرة نرتجف ، ويحنين في حديثهنّ عن الماضي وتقلبه ، واللهو وعجائبه في عالم الانسان

ازمنة اللهو انقضى نصفها وصدرنا وسادة للجباه
فان دنت من الشفاه الشفاه نهرها عزًّا ولثتها
كشارب الخمرة يدنيها منهُ فكم تزيد من لذته
خضخضة الكاسات في قبضته من قبل ان يمص ما فيها

الاّ ان ليل الزمن ألطفأ أشعة أحداقنا ، وزحلت اجسادنا البضة تحت دوس اقدام عشاقنا ، فمضى جلاسنا عنا ، ونحن

مذ خلع الله علينا الخلل زوّدنا بنظرة خائنة
وشهوة ملحة جائعة وبشرة خفاقة للقبل

ما ذنبنا نحن ايها الشاعر وقد القي بنا في وسط العاصفة ، وزج بنا في أتون التجارب ، وكون

أجسادنا للاستسلام الواهي فنحن

ثرنا عليه حينما سامنا عسفاً فلم نصبر على عسفه
قد حشد الذات قد آمنا وجيّش العذاب من خلفه
أفتى بان نقوم في رقنا بجزية العبد الى ربه
هو الذي اذنب في خلقنا وراح يجزينا على ذنبه

جاز الشاعر غاب الحور واستشرف صحراء منثورة فيها الجماجم والرمم كانها فضلات موائد الموت ، تهب فيها رياح البلى فتلاشي شعلات الحياة فيسأل شيطانه عما المجد في الصحراء التي كانها مغيبة في عباب السبات فيجيب « هذا الذي تلدهُ الامهات »

ذاك رفات الشعراء الذي باتت به عبقر تستأثر
يثبتهُ في الارض شياطينها ليبشوه حينما يقبرُ
وكلهم متى يعُدْ حاملاً شاعره تضمه عبقر

يطوف الشاعر حول هيا كلها فتكشر او تضحك ساخرة منهُ ، يمي ارواحاً هوت عليها وتغلغلت فيها لتنهض بها من كبوة الموت ، واذ تعجز عن إنهاضها تأخذ عظامها لتجعل منها قيثارات للموسيقيين ! يعود فيسأل الارواح والرمم عن الوجوه التي كانت صباحاً ، والسبات زاهيات ، والعيون ساهرات

وعن الحب حين انقضى عهده ظلّ يدوي في الدجى عوده
ام ماتت الطير فاتت على مقابر الطير اغاريده ؟

فتصيح به العظام: عشنا مع الناس دهرا نحلم بالشباب
واليوم والعمر مرّا وضمّنا السراب
ليتنا فيهم بذكرى أحلامنا العذاب

فيسأل ما هي احلامكم : أحلامنا نحن فتل اللالى شادوا لنا الانصاب إكبارا
احلامنا كنا لطافاً فلا تصيروا الاحلام أحجارا

قل اللالى يزخرف اللحود إزميل حفارهم
أرواحنا تبني قباب الخلود بغير أحجارهم
ويحدج الوجود بغير أبصارهم

الست ترى ايها القارىء في هذه القصيدة ملحمة بواقع معانيها ؟ اليست مميزات الملحمة انها تبدأ بوضوح بجانبها الوضوح في كل مقاطعها وكامل اجزائها فيربطها بعضها ببعض فيجعلها كتلة واحدة ووحدة منسجمة يتجلى فيها الذوق الفني فتكون كشجرة المشمش في اوائل الربيع ، جمالها في اغصانها العارية ، ثم في الازهار تزيّن بالجمال المكتسي بالفتنة ، جمالاً عارياً فاتناً ، ثم في الاوراق تغطي الثمر الناضج وتكشف البسر لاشعة الشمس ! !

ان الصفات التي جعلت هذه العلوائية — على حد تعريف الآنسة « مي » شفاها الله للتمييز بين العلوائية والملحمة — ميزة انفردت بها ، هي رغبة النفس في تصوير جمال الفن في مكان مهجور يوم الناس خلوه منهُ ، والمهارة في تأدية المعنى ، بتراكيب بسيطة ، والفاظ بعيدة عن الابهام ، والبراعة في التعبير عن التجربة والابانة عن القصد ، والمقدرة على الانتقال برشاقة وتقدير مسافات المراحل والابعاد ، والتصوير بوضوح ، وجمع المشاهد وربطها ، وبالجملة توصله بالفن للصلة بين روحه وروح القارىء ، وتنزيهه عن نزعات نفسه الحائرة ، المتضاربة المتشابكة ، المتشعبة الملتفة

لقد اصطفى الشاعر شفيق المعلوف موضوع « عبقر » ليكون مادة لفن هذه الملحمة فقد احسن الاختيار ، وتخير فأجاد التخير ، وقد انتشل موضوعه إنتشالاً من ذلك الوادي المزعوم واستطاع ان يخلق له جوًّا خاصًّا ، له سماوات فصول السنة في البلاد السورية بشعر المرء بانضباطها وبتقلباتها في الشتاء والربيع والصيف والخريف ، ولقد نجح في تطويع الالفاظ المناسبة لموضوعه — الا بعضها — الجامعة لخاصة الشدة والتأثير ان بالرمز والتوضيح او بالوسائل البيانية او الايحائية تستثير خيال القارىء ليقوى به على مجاراة الخيالات الحادة وسبحاتها البعيدة والالهامات التي حلّت في ذهن الشاعر المبدع . بهذه المزايا استطاع الشاعر المعلوف ان ينفذ الى احساس القارىء فجعله يشاركهُ في فهم معاني الجمال المستترة والبادية ، الظاهرة والخافية واستيعابها وتذوقها

كنت اود لو يتسع المجال لاثبات بعض ما بعن لي في صدد الفاظ وتشابيه شعرت فيها بما يصدم الحس الشعري واصف بعض حالات نفسية تلابس الشاعر حين النظم ، لأن ملحمة كهذه مفروض انها نظمت في اوقات متباعدة وفي حالات نفسية خاصية ، لا تخلو من بعض هنات يدركها الناقد الدقيق الحس ولكن في القصيدة ما يلزمهُ على الاعتراف بمقدرته على تكييف نفسه وتهيئة ذهنه للانسجام من جديد في موضوعه والاتساق مع الالهام الروحي الرابط لجميع اجزائها

قلت في معرض الكلام ان لكل اديب حياته « الداخلية » التي يحيا بها لنفسه ولادبه وهو بها غريب عن الناس ، وقد ادنو من الحقيقة فأمسها اذا قررت ان ثلاثة من شعراء العصر هم اقربه حتى بين ادباء هذا الجيل ، ولعل ناظم علوائية « شيطان » أمعن في غربته من ناظم علوائية « الطلاسم » وان ناظم ملحمة « عبقر » ادنى الى الاستئناس ببعض الطبقات ، وان لابد للتوغل في درج هؤلاء الشعراء ان يرتقع كثيراً حتى يلمع « عبقر » وينطوي على نفسه كثيراً حتى يعي « الطلاسم » ويتحرر وينسرد ويتسب كثيراً حتى يدرك طلائع روح « شيطان » واحسب ان شعور النقادين باستغرابهم شعور الشاعر المجدد وسليقته المبتدعة انما هو دليل على تأصله في حياته الادبية الغريبة عنهم ، وقدرته على خلق ما لا قبل لهم بإلفته والاستئناس به

ما اسعد الشاعر الموهوب ، بل ما أسعدهُ وأشقاهُ ، وما اسعدنا بساعة تقضيها بصحبة عبقري

فالارض ان كانت جحيماً لهُ وكان فيها ثمناً الارضُ